الضبابيّةُ في تدوينِ أسفارِ العهدِ القديم

م.د. عواد قاسم الماجدي
جامعةُ بغداد/ كليّة العلوم الإسلاميّة

المستخلص:
يكتنفُ أسفار العهد القديم الضبابيّة والغموض الكبير، حتّى إلتفت اليهود أنفسهُم الى ذلك الغموضِ والإجمال وبدت تساؤلاتهُم تُطرح بِشكلٍ علني، فلا نجد سِفراً إلّا وإختُلِفَ في تدوينهِ ومصدرهِ، ونستطيع أن نُجمل خُلاصة ما توصلنا اليها في بحثنا هذا بما يلي:
لم يتعرّض كتاب سماوي بالتحريف والإجمال والضبابيّة والعِتمة، بِقدر ما تعرّضت لهُ كتب اليهود من أسفار العهد القديم والتوراة، إذ لم يبق منهُ إلّا إسمهُ فحسب، وأنَّ التوراة(البنتاتوكس)، التي هي أهمُّ وأشهر أسفار العهد القديم لدى اليهود، لم يَسلم مِن الشُبهةِ والتردد، لِدرجةٍ لا يُعلم مَنْ صاحب الأسفار الخمس، ومَنْ الّذي كتبها. وقد وقع إعتراف مُتكرر من علمائهم عِبر التاريخ، بتحريف الكتاب المقدس وإختلاف نسخه وعدد أسفاره، وذلك نتيجة الأزمات والتهجير الّذي تعرّض لهُ الشعب اليهودي، وتأثّرهُم بالوثنيّة والثقافات المجاورة. مضافا الى عدم إعتراف بعض الطوائف اليهوديّة، بكثير من الأسفار المعروفة حاليا، خصوصا الكاثوليك منها، وأنَّ التحريفَ والدسَّ في أسفار اليهود من قِبل علمائهم كان مقصودا، لكي يتناسب مع معتقداتِهم المُستحدثة، التي إكتسبوها بتأثير الثقافات المجاورة، من الوثنيّة والحضارات القديمة، لِذا لم يستطع الكتاب المقدّس الثبات والدفاع عن نفسه، أمام المجتمع البشري، لضيق أُفق مضامينه وتطرّفه، وعدم مناسبتهِ للزمن والتجديد والحداثة، لفقده مقومات النهوض التي تُناسب العقل البشري.والقارىء البسيط لأسفار اليهود، يُدرك أنَّهُ قصصٍ ورؤى ونتاج بشري، لا يُعبّر عن الرؤى والتشريع السماوي، كما أنَّ إختلاف النسخ دليلٌ على الإختلاق والتزييف، وهي أسفار مليئةٌ بالألفاظ القادحة والمُهينة للخالق الحكيم، وقدرتهِ وسِعة علمهِ وإبداعه.ولا يخلو سِفر من أسفار العهد القديم، من الضبابيّة والتردد والإجمال، والمُخالفات المنطقيّة والعقليّة الواضحة، فهي أسفارٌ لا ترقى في مضامينِها الى كلام البشر، وغير صالحة للمقارنة بالكُتب السماوية كالقرآن الكريم، من حيث المضمون والتعبير والمصداقيّة والموضوعيّة.
نعم، هناك بعض المحاولات، من علماء يهود في الأزمنة المتاخرة، بتصحيحِ بعضٍ من مفاهيم الأسفار التي تتعلّق بالتوحيد والجانب العَقَدي، بعد الإنتقادات الكثيرة التي تعرضت لها الأسفار، من القريب والبعيد، ممّا دفع بعض المتاخرين، بتصحيحِ بعض المفاهيم التورات .

الكلمات المفتاحية:الاسفار، العهد القديم، التدوين، الأسفار الخمس.

Abstract:
The books of the Old Testament are shrouded in ambiguity and great ambiguity, to the point that the Jews themselves paid attention to that ambiguity and generality and their questions seemed to be raised openly. We do not find a book that did not differ in its writing and source, and we can summarize the summary of what we reached in this research as follows:
No heavenly book has been subjected to distortion, distortion, ambiguity, and obscurity to the extent that the Jewish books of the Old Testament and the Torah were subjected to it, as only its name remained of it, and the Torah (the Pentateuch), which is the most important and famous book of the Old Testament to the Jews, was not free from suspicion and hesitation. To the extent that it is not known who wrote the Pentateuch, and who wrote it. Their scholars have repeatedly acknowledged throughout history that the Bible was distorted and its versions and number of books changed, as a result of the crises and displacement to which the Jewish people

were exposed, and their influence by paganism and neighboring cultures.

In addition to the fact that some Jewish sects do not recognize many of the books currently known, especially the Catholic ones, and that the distortion and distortion of the Jewish books, by their scholars, was intentional, in order to fit with their new beliefs, which they acquired under the influence of neighboring cultures, from paganism and ancient civilizations, so they did not The Holy Book is unable to stand firm and defend itself, before human society, be-cause of the narrow-mindedness and extremism of its contents, and its unsuitability for time, innovation, and modernity, because it lacks the elements of progress that suit the human mind.

The simple reader of the Jewish books realizes that they are stories, visions, and human products, and do not express the visions and heavenly legislation. Just as the difference in versions is evidence of fabrication and falsification, these books are full of indecent and insulting words to the Wise Creator, His ability, the breadth of His knowledge, and His creativity.

Not one of the books of the Old Testament is devoid of ambiguity, hesitation, generality, and clear logical and mental violations. They are books whose contents do not live up to human speech, and are not suitable for comparison with heavenly books such as the Holy Qur'an, in terms of content, expression, credibility, and objec-tivity. Yes, there are some attempts, by Jewish scholars in recent times, to correct some of the concepts of the Scriptures that relate to monotheism and the doctrinal aspect, after the many criticisms to which the Scriptures were subjected, from near and far, which prompted some recent scholars to correct some of the concepts of the Torah.

Keywords: books, Old Testament, codification, Pentateuch.

المُقدِّمة:

نصوصُ وتعاليم الشريعة السماويّة، ينبغي أن تصل سَليمةً وواضحة الى المُجتمعِ المُراد هدايته، وإيصاله الى الكمال والصلاح، وبِعكسِ ذلكَ، لا يكون المُجتمع مُلزما بتعاليم الشريعة، ما لم تكُ قد وصلت سليمة بالفعل، فإنَّ الله تعالى لا يُعذّب قوما، ما لم تكن التعاليم الإلهيّة قد وصلتهُم بالكامل، وحصل العِلم بِها، قال تعالى:{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبعَثَ رَسُولا} الأسراء ١٥ . وذلكَ بِموجب العَدل الإلهي، لكي يكون الجزاء الأُخروي مطابق للعمل والإمتثال الدنيوي، والإمتثال مشروط بالعِلمِ واليقين الجازم، لِقبحِ العِقابِ بلا بيان عقلاً وشرعا. ولِأجل التصديق والإمتثال لِتعاليم الشريعة، لابُدَّ مِن التحقق مِن عِدَّة أمور، لكي نكون مُلزمين بالإمتثال والإيمان بمفاهيم الشريعة، ولا يكون إتّباعنا لِلشريعة مبنيا على الضنون والإحتمال، التي لا تُغني ولا تُشبع مِن جوع، وإنَّ الإيمانَ إعتقادٌ بالجنان وعملٌ بالأركان، وأهمّ تلك الأمور التي يجب توفرها في ثبوت حقيقية الشريعة السماوية، هي:

أولاً: حصول اليقين والتواتر والعِلم القطعي، بوصول تعاليم الله تعالى الى البشر، بِكمالِها وتمامِها، كما أرادها المُشرّع الحكيم.

ثانياً: مُطابقة النصوص الدينيّة المُرسلة للمنطق السّليم، وعدم مُعارضتِها للقواعدِ العَقليّة مُعارضة قطعيّة.

ثالثاً: موافقتها للفضائلِ والتعاليم الأخلاقيّة، وذو ثمرةٍ إنسانيّة أو روحيّة، في بناء الفردِ والمجتمع ورُقيّه.

ومِن هُنا ينبغي تقويم نصوص العهد القديم، وفق هذه الضوابط، والتحقيق من سلامتِها، فليس مِن المعقول والمَسنون، أن يتمسّك بِأحكام وتعاليم دينيّة، يسعى مِن خلالِها الى نيلِ الجَزاء الأُخروي، وهو لا يُدرك حقيقة وصحّة صدورهذه التعاليم مِن الله تعالى، أو تدور حولها الشكوك المنطقيّة والعَقليّة والعَقديّة.

فنحنُ إذا مُضطرّون ومحكومون بِحكمِ العَقلِ، وإتّباع نتائجه، ولا يوجد معيار آخر للتقويم والتحقيق مِن صحّة وقبول الأعمال والسّلوكيّات، سوى العَقل وجنوده، والإعتماد على المنطق السَّليم، في قبولِ التعاليم السماويّة، أو ردّها حينما لا تكون متوافقة مع ضروريات العقل والوجدان، فإنّ الله تعالى تعبدنا بالعقل والحُجّة والبرهان.

وقد إرتأينا أن يكون هذا البحث على شَكلِ مبحثين رئيسين، يتضمّن كُل مَبحثٍ على مَطلبين ومسائل عِدّة تُحيط بالبحثِ مِن جميع جوانبه، مع خُلاصةٍ وخاتمةٍ بأهمّ النتائج، مع الأخذ بنظر الإعتبار الموضوعيّة والدقّة في نقل المعلومة.

المبحثُ الأوّل: كيفيّة جمع وتدوين أسفار العَهد القديم

المطلب الأوّل: أسفار العهد القديم ومُشكلة التدوين

تمهيدٌ: الكتابُ المُقدّس الأوّل: عند أغلب اليهود يحتوي على (تسعةٍ وثلاثين) سفرا، يُضاف لها سَبعة أسفار لدى اليهود العبرانيين، يكون العدد الكُلي(ستّا وأربعين)سِفرا، ويُسمى(تناك)، والأسفار الخمس الأولى منهُ تُسمى(التوراة)، وسُمّيت مُتأخرا بـ(البتاتوكس)، وهي أسفار(التكوين والعدد والخروج واللاويين والتثنية). كما أن لِأسفار العهد القديم ترجمات عِدّة، المشهور منها عند اليهود العبرانيين الترجمة الآرامية، وهي ترجمة(أونقيلوس) و(عزيل)، وترجمات إغريقية أشهرها ترجمة(سبتواجنت)، المنسوبة الى أكثرِ من سبعين عالما يهوديا، والترجمة العربية المعروفة بترجمة(سعاديا)، وهو كبير حاخامات اليهود في القرن الثالث الهجري، كتبها بحروف عبريّة غير معروفة عند العرب، وقد طُبعت لأوّل مرّةٍ بالعربيّة عام١٦٤٨م، ثُمّ طبعت بحروفها العبرية عام١٨٧٢م. أمّا اليهود السامريين فلديهم ترجمة واحدة بالآراميّة.

والكتاب الثاني لدى اليهود: يسمى (المَشنا)، وهو الشريعة الشفويّة، التي أُخذت شفاهةً من أفواه الحاخامات والعلماء، ويزعمون أنّه وحيا تلقاه موسى(عليه السلام) كما تلقى التوراة، وعلّمهُ للشيوخ، والشيوخ علّموه للأنبياء، والأنبياء علّموه لرجال(السنهدرين)وهي المحكمة اليهودية العليا، التي تأسست بعد السَبي البابلي، أواخر القرن الخامس قبل الميلاد.

والكتاب الثالث لدى اليهود: يُسمى(جمارا)، وهو شروح علماء اليهود على (المشنا)، وبجمعِ كتابي (المشنا والجمارا) يتألّف كتاب (التلمود). وهما تلمودان، (تلمود أورشليمي)، وهو المشنا نفسه بزيادة حاخامات فلسطين، و(تلمود بابلي)، وهو المشنا أيضا، بزيادة حاخامات بابل، وهو الأشهر عند اليهود، وينصرف اليه إطلاق لفظ التلمود. وقد بالغ اليهود في مكانة التلمود كعادتهم، وجعلوه أسمى من التوراة، حتى قالوا(مَن درس التوراة فَعَلَ فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومَن درس المشنا(التلمود)فعلَ فضيلةً إستحقَ أن يُكافأ عليها، ومَن درس(الجمارا) فعل أعظم فضيلة) (١). وهو كتاب مليء بالأحقاد والضغائن على جميع الشعوب غير اليهوديّة.

وقد وقع الكلام منذُ القِدم بِسعةِ حجم التحريف، في أغلبِ أسفار العهد القديم المكتوبة، فضلا عن غير المكتوبة كالتلمود، لِكثرة التناقضات العقليّة والمنطقيّة في نصوصِ العهدِ القديم، حتّى إعترف العديد من اليهود بتلك التناقضات، بل تصدّى البعض منهُم لِتصحيح ومعالجة تلكَ التناقضات العقليّة والعَقديّة، مثل العالم اليهودي في العصور الوسطى (موسى بن ميمون) الأندلسي، الذي وضع الأُصول الثلاثة عشر، وأُسماها أركان الدّين اليهودي، وذلكَ في كتابهِ(دلائل الحائرين)، في التوحيدِ وعلمِ الكلام، وهي مُحاولةٌ

جادَّة ومُنفتحةٌ، في تطوير وتنقيح الفكر اليهودي. ومنهم (سعيد بن يوسف الفيومي) (سعاديا)، الّذي نزّه الله تعالى من الصفات الماديّة، التي وردت في التوراة وحملها على المجازيّة، وغير ذلكَ من المحاولات(٢).

تعدد مصادر التوراة والعهد القديم لدى اليهود

وهذا التعدد والتردد في مصدرِ التوراة مما لا شَكَّ فيه، وأسفار اليهود شاهدةٌ على التعدد والتردد، وأنَّ الباعث للتوراة والأسفار ليست جهةٍ واحدة، أو مُفيض واحد. وأصبح هذا الأمر مِن المُسلمات التي يعترف بِها علماء اللاهوت أنفسهم، فلا يُعلم مَن هي الجهة الحقيقيّة التي وَرَدَ عنها تلكَ نصوص التوراتيّة، هل هو الإله الربّ أم المَلِك أم شيء آخر، والمصادر الّتي يُعتقد أنّها مصدر بعث تعاليم التوراة، هي:

أولاً: مصدر يحمل إسم الإله(يهوه)، يعود الى القَرن التاسع قبل الميلاد، ورواته مِن الجنوب، مما كان يُسمى(مملكة يهوذا). ويُقال أنّهُ هو مَن أرسل التعاليم الى الشعب اليهودي. وقد وَرَدَ إسم (يَهوَه)في التوراة لِأوّل مرَّة في سِفر الخروج٣: ١٥» هكذا تقول لبني إسرائيل يَهوَه إلهُ آبائكم إلهُ إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكُم».وكانوا يعتبروه إله الحرب والنصر والمُحب لهُم خاصّة، حتى جاء في سِفر الخروج٣: ١٨» الربُّ إلهُ العبرانيين التقانا «. لكنَّهم وصفوه بِصِفاتِ المخلوقين من الضعف والندم، وأنّهُ يستشير الحاخامات في المسائل التي لا يمكن حلّها في السماء، حتَّى أنّهُ غضب ذاتَ مرَّة على بني إسرائيل فإستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانِهم من الحياةِ الأبديّة، ثُمَّ تركوا عبادة إلهَهُم، كما في سِفر القضاة ٢ : ١٢ « وتركوا الربَّ إلهَ آبائهم الذي أخرجهم من أرضِ مِصر، وساروا وراءَ آلهةٍ أُخرى مِن آلهة الشعوبِ الذين حولهُم».وذلك بعد ما نالوا الهزائم والتنكيل من البابليين والآشوريين.

ثانياً: مصدر يحمل إسم الإله(الوهيم) بصيغة الجمع، وفي بعض الأحيان يُشير الى إله واحد، ويعود الى القَرن الثامن قبل الميلاد، ويُعتقد أنّهُ هو مَن أرسل التعاليم لشعب اليهود، ويُقال أنّ الإسم يشترك مع آلهة الشعوب القديمة التي جاورها اليهود، كآلهة الصَيدويين وغيرهم، فإكتسبوها بالمُجاورة. وهناك أيضا مصدر يحمل إسم الإله(إيل)، وكذلك مصدر يحمل الإله(أدوناي)، يُعتقد أنّها مصادر الوحي والتشريع.

ثالثاً: مصدر (تثنية الشريعة)، كُتبت في القرن السابع قبل الميلاد، وإعتُبر جزءاً من التوراة عام٦٢١ قبل الميلاد، فقد وردَ في سِفر (الملوك الثاني)٢٢: ١٤.٨. حيث أرسل المَلِك يوشيّا، الّذي مَلَك في عُمرِ ثمان سنين، كاتبهُ (شافان بن أصليا) الى الكاهن (حِلقيّا)، فقال حِلقيّا الى شافان، لقد وجدتُ سِفرَ الشريعة في بيت الربِّ، فأخذ شافان السِفر وأعطاه الى المَلك(يوشيّا)، فلما سمعَ الملكُ كلام سِفر الشريعة مزّق ثيابه، وأمر بإتّباع هذا السِفر، وقال: « أنّ الربّ غضبَ علينا لإنَّ آباءنا لم يسمعوا كلام هذا السِفر ولم يعملوا به». وقبل ذلك لم يُعرف سِفر الشريعة، ولا حتّى من آبائهم، ولم يعملوا به، كما هو مُصرّح بالنصِّ المُتقدّم.

رابعاً: مصدر(حواشي الكهنة)، وتعود الى القَرن الخامس قبل الميلاد، وأُضيف الى التوراة وأسفار العهد القديم في عهدِ (عزرا) و(نحميا)، أي بعد العودة من السَبي البابلي، وهي فترة سيطرة الكهنة والأحبار على اليهود(٣). وهؤلاء الكهنة أيضا يُعتقد أنّهُم مصدر الأسفار والتوراة المُتداولة حاليا، إختلقوها من أنفسِهم، حتى وردَ في ذمّهم في سِفر حزقيال٢٢: ٢٦.٢٨(كهنتهُم خالفوا شريعتي، ونجّسوا أقداسي، لم يُميّزوا بين المقدّس والمُحلّل، ولم يعلموا الفرق بين النجس والطاهر... رؤساؤها في وسطِها كذئابِ خاطفة خَطفا لسفكّ الدم، لإهلاك النفوس لِإكتساب كسبٍ، وأنبياؤهم قد طيّنوا لهُم بالطُفال، رآئين باطلا، وعارفين لهم كذبا، قائلين: هكذا قال السيّد الربّ والربُّ لم يتكلم). وقد أشار القرآن المجيد الى ذلك التزوير والتحريف عمدا{فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِم واشتَرَوا بِهِ ثَمَنًا قَليلا فَبِئسَ مَا يشتَرُون}آل عمران ١٨٧ . وهكذا تشتت وتردد الفهم الدقيق لمصدر الأسفار، ولم يتّضح على نحو الدقّة واليقين، فحصل الإجمال والضبابيّة في نسبة تلك الأسفار، مع مُلاحظة سِعة حجم التناقضات في الأسفار في الكتاب المقدس.

ومِن هُنا بدءت المُحاولات في تذليل الشُبهات، بعد أن توسّعت رقعت التشكيك، من داخل البيت اليهودي ومن خارجه.

مُشكلةُ التدوين لِأسفار العهد القديم

وهي مِن أكبر المشاكل، التي تعترض التصديق وقبول أسفار العهد القديم، ومنشأ هذه المُشكلة أنّ أسفار العهد القديم تمَّ تناقلها شفاهة دون تدوين، وبالتالي دخلتها التناقضاتُ والغرائب، فحصل عدم تجانس الإسلوب في كثيرٍ منها، مُضافا الى أنَّ التدوين بدءَ في فترةٍ زمنيّة تبعُد عن النبي موسى مِئات السنين، قرابة خمس قرون تقريبا، مع الصعوبات وكثرة الأحداث. مضافا الى أنّ عمليّة التدوين لم تتم دفعةً واحدة، فيرى البعض أنَّ أوّل تدوين كان لِأسفار موسى في بابل، خلال فترة السّبي والتهجير(٥٨٧)قبل الميلاد، ولم يكن للتوراة ذكرٌ في الإحتفالات الخاصّة في فتح الهيكل، وأوّل قراءة للتوراة كانت عام(٤٤٤)قبل الميلاد، وهي قراءة (عزرا)، الذي كتب التوراة لِخوفه من ضياعِ الهوية في بابل، ممّا يفقدهُم الأمل بالرجوعِ الى فلسطين، لذلكَ يمكن تسمية هذه التوراة بتوراة الكهنة، لِأنَّهُم وضعوها وأضفو عليها القداسة، وفرضوها على أبنائهم بعد رجوعهم، فكان الكاهن (عزرا) كاتب آلهة السماء، كما وصفته التوراة، وهي غير توراة موسى بالتاكيد.

كما أنَّ عزرا والكهنة، هُم الذين وضعوا مفهوم المسيح المنتظر، وعهد الرب، إثناء السبي البابلي، بأنّ يعيدهم الى أرضِ آبائهم وأجدادهم، ولكن سرعان ما نقض العهد بتدمير(تيطس) الروماني(٤).

أمّا أسفار الأنبياء فقد دُوّنت إثناء المرحلة الفارسيّة، قبل عام(٣٣٣)قبل الميلاد، بدليل أنّ سِفري أخبار الأنبياء لم يحلّا محل سِفري صموئيل والملوك ولم يلحقا بِهما، الأمر الذي يدل على أنَّ كتب الأنبياء تمَّ تدوينها والإعتراف بها قانونيّا، كما لا توجد في سِفر الأنبياء أيّ كلمة إغريقيّة، ولا إشارة الى سقوط الإمبراطوريّة الفارسيّة، أو ظهور الإمبراطورية اليونانيّة. مضافا الى أنَّ بين موسى وأسفار الأنبياء فترة زمنيّة، بدليل أنَّ السامريين الذين إعتزلوا عن اليهود، إعترفوا بالتوراة ولم يعترفوا بأسفار الأنبياء، وقد دُوّنت أسفار الأنبياء، خلال الفترة الممتدة من القرن السادس وحتى الثالث قبل الميلاد(٥). والظاهر أنّها أُلِّفت حينما كانت أسفار موسى مجهولةً، إذ يندر أن تجد فيها ذكر لموسى.

أمّا القسم الآخر من أسفار العهد القديم، مثل أسفار الحكمة والأناشيد، فقد دوِّنت البعض منها في عصر أسفار الأنبياء، ولكن لم تُضاف الى كتب الأنبياء، بصفةِ أنّها لم تكُ ثمرة الوحي، والقسم الآخر من منها دُوِّنَ في مرحلةٍ متاخرةٍ عن كتب الأنبياء، ولم تُضاف اليها إلّا في القَرن الثاني قبل الميلاد، وهي كتب (دانيال وعزرا والإخبار)، وهكذا تظهر الفجوات والإضطرابات والتشويش في التدوين.

المطلب الثاني: مراحل تطوّر تدوين التوراة الحاليّة

كان الحديث في الغالبِ عن أسفار العهد القديم على نحو العموم، وهنا نُسليط الضوء على الأسفار الخمس الأولى من تلك الأسفار،والتي تُسمى(التوراة)، وكذلك تُسمى حديثا بـ (البنتاتوكس)، ومدى صحّتها مِن خِلالِ ما قالهُ بولس الفغالي في كتابهِ(المدخل الى الكتاب المقدس)الّذي كتبه للدفاعِ عن التوراة بإسلوبٍ حديث.

يقول بولس:«ظل التقليد اليهودي والمسيحي على هذا الموقف، وهو أنَّ أسفار موسى الخمس كتبها موسى، حتى جاء(كارستادت)البروتستانتي في القرن السادس عشر، حين تساءل؟كيف إستطاع موسى كتابة قصته وقصّة وفاته .كما في سِفر التثنية ٣٤: ٥.. ثُمَّ تسائل بعده(ماسيوس)المستشرق الكاثوليكي، واليسوعان (باراريوس وبون فريد)والفيلسوف اليهودي(سبينوزا)؟ هل كتب موسى التوراة كُلَّها، أم أكملها بعده شخص آخر. ونشر راهب آخر اسمه(ريشارد سيمون)كتابا بعنوان التاريخ النقدي للعهد القديم١٦٧٨، أوردَ فيه التواريخ المختلفة والتكرارات المتعددة والغوص في تاليف النصوص...وخَلصَ الى القول أنَّ كُلَّ هذا يمنعنا من الإعلان أنّ موسى هو مؤلّف البنتاتوكس أي التوراة بالجملة. وظهرت منذ عهد بعيد أبحاث حول البنتاتوكس، من اليهودية المعاصرة

والمسيحية، أنّ موسى هو صاحب الأسفار الخمس. أمّا العهد القديم فلا يُنسب الى موسى إلّا دستور العهد. وبعد المسيح نُسبَ لموسى البنتاتوكس كُلّهُ. وبَقيت التوراة على هذه النظرة السائدة حتى القرن الثامن عشر، أمّا بعد ذلك طرحت المسائل حول البنتاتوكس، فهل كان موسى مُلهما الى حدٍّ كبير جعله يروي قصته مُسبقا كما في سِفر التثنية ٣٤ : ٥.. وقال(يوسيفوس وفيلون): أن يشوع زاد الآيات الثمانية الأخيرة في البنتاتوكس. وفي القرن الثاني عشر أشار(ابن عزرا) بإمكان وجود مقاطع جاءت بعد موسى، مثل سِفر التكوين١٢ : ٦، عبارة(وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض)، ووردَ تساءل في سفر التكوين كذلك ١٣ : ٧، لماذا كان موسى يستعمل صيغة الماضي إذا كان يكتب قبل الإحتلال. وكان (كارلشتات)ت١٥٤١، أوّل لاهوتي بروتستانتي يبرهن إنطلاقا من إعتبارات لغويّة،ومِن سفر التثنية ٣٤ : ٥ ،أنَّ موسى لم يكن كاتب الأسفار الخمس. وإعتبر الكاثوليكي(أندرياس ماسيوس)ت ١٥٧٣م، أنَّ عزرا ورفاقه قد دوّنو البنتاتوكس. أمّا الإنكليزي(توماس هوبس)فكان أوّل من عارض كل علاقة للأسفار بموسى صاحب البنتاتوكس، وإنّما الأسفار جاءت بعد موسى، وإن عاد اليه هذا الموقع أو ذاك. ثُمَّ جاء (ريشار سيمون)ت ١٧١٢،ليقول لا يمكن أن يكون موسى صاحب كل الأسفارالمنسوبة اليه، وأمّا اليهودي (إسبينوزا) فيقول: أن عزرا هو المدوّن الحقيقي للبنتاتوكس. ولم تمض فترة حتى جاء (جان لاكليرك) فعارض(ريشا سيمون)فقال لا يمكن أن يكون عزرا صاحب البنتاتوكس، لأنَّ السامريين إحتفضوا ببنتاتوكس يشبه تقريبا بنتاتوكس اليهود،أمّا صاحب البنتاتوكس فيمكن أن يكون ذلك الكاهن الذي ذكره سِفر الملوك١٧ : ٢٨ ،الّذي جيء به من المنفى ليُعلّم سكان مملكة إسرائيل القديمة مخافة الله تعالى. وإستمر هذا الجدل حتى القرن التاسع عشر، وتظهر ثمرة النزاع هذه، بأنّهُ إن كان موسى صاحب البنتاتوكس، كفلنا لهُ قيمته التاريخية، وأمّا إذا كان عزرا هو صاحب البنتاتوكس، فنحن ننزع منه كل مصداقية تاريخية، وكل بُعد لاهوتي أو روحي. وهذا ما جعل المفكر(ده واتي)ت١٨٤٩ ،يعلن أنّ موسى هو صورة أسطورية»(٦). وهذا الذي جعل(ول ديورانت) يقول: لم يبق لدينا من شريعة موسى سوى الوصايا العشر(٧).

ويرى سامي البدري، أنَّ أهل الكتاب بكلِّ فرقهم يتوحدون على أسفار التوراة الخمس، ولكنهم لا يتفقون على متنٍ واحد، فالسامريون لهُم نسختهم، والعبرانيون لهم نسختهم قبل بعثة محمد (صل الله عليه وآله)، ونسختهم بعد البعثة وهي المتداولة اليوم(٨).

وينقل العلامة(رحمة الله الهندي)،في كتابه (إظهار الحقّ)، أقوال بعض مؤرخي الغرب التي تُقرر أنّ توراة موسى ضاعت، فأوجدها عزرا مرّة أخرى بإلهام(٩). ويرى بعضهم أنّ سِفر (يوشع) كتبهُ (إرميا)، وبين يوشع وإرميا أكثر من ثمان قرون تقريبا، ويرى بعضهم كتبهُ صموئيل، ويرى فريق ثالث كتبهُ فنيحاس(١٠).

عدم نسبة التوراة الحاليّة الى موسى (عليه السّلام)

ومما يؤيد أنّ التوراة الحاليّة ليست نتاج موسى(عليه السلام)، بضربٍ قاطعٍ، عقلا ونقلا، ما جاء في أسفار التوراة نفسها، من نصوص تدلُّ على عدم نسبتها اليه، منها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: ما جاء في سِفر التثنية ٣٤: ٥.٧. « فمات هناك موسى عبدُ الربّ في أرضِ موآب حَسَبَ قولِ الربّ... ولم يعرف إنسانٌ قَبرهُ الى هذا اليوم، وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حينَ مات».

ثانياً: ما وَرَدَ في سِفر التثنية٣٤: ١٠ « ولم يُقم بعدُ نبي اسرائيل كموسى».

ثالثاً: ما وَرَدَ في سِفر العدد٣: ١٢ « أمّا الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس».

رابعاً: ما وَرَدَ في سِفر الخروج١١:٣«وأيضا الرجل موسى كان عظيما جدا في أرض مصر». فلا يُعقل أن يقول موسى هذا الكلام عن نفسه، ويكتب قصّة وفاته بنفسه، وغير ذلك الكثير. مضافا الى التاريخ اليهودي الّذي يُثبت أن موسى كتب نسخة من التوراة ووضعها مع اللوحين في التابوت، وبعد فترة، وظهور الكثير من الكذبة والدجالين في المجتمع اليهودي، حتى جاء زمن سليمان وفُتح التابوت في الهيكل، فلم توجد نسخة التوراة، ووجد اللوحان الحجريان فقط، كما في الملوك الاول ٨: ٩.

ومما يؤيّد عدم نسبة التوراة الى موسى(عليه السلام)، إختلاف لغة التوراة عن لغة موسى، فان اللغة العبرية نشأت بعد دخول اليهود الى فلسطين، وإختلاطهم بالكنعانيين، أي بعد وفاة موسى، كما أنّ موسى نشأ في مصر وتثقّف بثقافتهم وتكلّم بلغة مصر القديمة، وأنّ اليهود مكثوا في مصر قرابة ٤٣٠ عام، كما في سِفر الخروج ٤٠ : ١٢، فبالتاكيد قد تكلموا لغة أهل البلاد.

مضافا الى أن دليلهُم نسبة التوراة الى موسى نقليّة من نفس التوراة، كما في سِفر التثنية٩ : ٣١ «وكتب موسى هذا التوراة»، وهو دليلٌ غير علمي، والشيء لا يُثبت نفسه، واليهود يتفقون أنّ التوراة ليست كلام الله تعالى وإنّما كتبها موسى(عليه السلام)، ولم يقطعون بأنَّ الله قد أملا على موسى في كتابة التوراة.

ومضافا الى عدم وجود تواتر للتوراة الحاليّة، بل الثابت لدى المحققين ان التوراة الحالية كتبها أحبار اليهود، خلال السَبي البابلي، ما بين القرن السادس والخامس قبل الميلاد، بعد سبعة قرون من عصر موسى(عليه السلام)، وكُتبت حسب الذاكرة الذهنيّة، وفي أجواء الرعب والتشريد.

والحقيقة التي يجب أن تُقال، بِحسب المُتتبّع لتاريخ وسلوكيات اليهود، وتاثرهُم بالعقائد الفاسدة، وإنحرافهم الواضح عن شريعة موسى (عليه السلام)، أنّهُم تخلصوا من أسفار موسى الأصليّة، بِعلمٍ وقصدٍ لعدم إنسجامها مع مُعتقداتهم وموروثهُم الشعبي والوثني وسلوكهم الشاذ.

المبحث الثاني: تدوين العهد القديم بين الإيجابِ والسَلب

المطلب الأوّل: الضابط في جعل أسفار العهد القديم قانونيّة

بعد كثرة إدّعاء الأسفار في المجتمع اليهودي، وتضارب الأقوال والإختلافات الشديدة في صحّة جميع الأسفار، وإنتسابِها الى الإله، وكونِها أسفارا مُعترف بِها، وضع الأحبار قواعد عامة إجتهادية، تكون معيارا في إدخال وإخراج هذا السِفر أو ذاك، في أسفار العهد القديم وكونها مُعترف بِها، وهذه القواعد هي:

أولاً: كون النصّ مكتوبا باللغة العبرية، ويُضن أنّ سِفر دانيال تُرجِمَ بدايتهُ ونهايتهُ بسرعة، لِأجلِ ضمّها الى الأسفار القانونيّة، والإعتراف بِها. أي هناك تحايل ومجاملة ومراعاة لبعضِ الأحبار والأقوام.

ثانياً: كون النصّ مكتوبا قبل النبي(مالاخي)، أي في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث يرى الحاخامات أن النبوة توقفت في بني إسرائيل.

ثالثاً: أن يكون مضمون النصّ متوافقا مع المعايير الدينية، التي تبناها الحاخامات، وهي معايير وضعت بعد جِدال ونزاع بين العلماء اليهود، في شأنِ بعض الأسفار التي تحتوي على أفكار غنوصيّة باطنيّة، مثل سِفر حزقيال، وإتفقوا في نهاية النزاع على إدخاله في الكتب القانونية(العهد القديم)، بشرطِ عدم تدريسه للأطفال.

وكما ترى لم تكُ هذه المعايير والقواعد علميّة، ولا تبعث الإطمئنان في النفسِ والعقل، بصدور تلك الأسفار بالتواتر واليقين عن الأنبياء، فضلا عن تعارضها ومخالفتها للعقل وعقيدة التوحيد، وإنّما المسألة توافقيّة بين الأحبار، وليس خاضعة لقواعدِ النقل السّليم.

أسفار العهد القديم بين السماويّة والوضعيّة

قد يكون العنوان غريبا لِأوّل الأمر، ولكن حينما نستمع الى ما قالهُ اليهود والنصارى، في تلكَ الأسفار، يندفع الإستغراب ويكون التشكيك مُحكما، وكما يُقال في المَثَل: أهل البيت أدرى بالّذي فيه. ولنطّلع الى ما قالهُ المسيحي الخوري بولس الأفغالي، المتخصص في اللاهوت والفلسفة، في كتابه(مدخل الى الكتاب المقدس)، في معرضِ دفاعهِ عن أسفار العهد القديم.

يقول الخوري بولس:» إنَّ الفاتيكان من خلال المجمع المسكوني، يرون أن كتاب العهد القديم، هو كلام الله الّذي إتّبعه المسيح، وبلغ بهِ الى كماله»، ويُعلّق الخوري بولس على هذا الكلام، بأنَّ هناك من يقول أنَّ هذا الكلام غير صحيح، وإنّما هذا مُجرّد كلام يقولونهُ للناس، وهُم يُميزون كتاب العهد القديم عن كتاب العهد الجديد، ويرفضون رفضاً قاطعاً أن يكون كتاب العهد القديم يحتوي على كلام الله، بل يعتبرونهُ أقلّ شأنا مِن

كتب الفلاسفة القدماء، ويطرحون عليه عِدَّة إشكاليات، منها:

أولاً: إنّهُ كتابٌ صعب الفَهم، وأنّهُ كُتِب قبل أكثر من آلفي عام، ولا شيء يُفضلها عن كُتب العهد الجديد(الإنجيل)، وأنّهُ مُجرّد قصّة شعب لم يكن أفضل مِن باقي الشعوب، بل شعبا مُغلقا على ذاته، مُعتبرا الله تعالى لهم وحدهُم دون سائر الشعوب، فما الثمرة من قراءته.

ثانياً: فيه الكذب والإحتيال والقسوة، عند أشخاص كانوا يصفون أنفسهم برجال الله.

وقد أجاب الخوري بولس الفغالي عن هذه الإشكاليات، بما يلي:

أولاً: قد أجاب عن الإشكال الأوّل، الّذي يقول أنّهُ كتاب صعبٌ وكُتبَ قبل الفي عام، لشعبٍ خاص ومُغلق؟. قال: صحيح أنّها صعبة، ولكن هذه الأسفار هي التي أوصلت الينا وديعة الإيمان، حتى أوصلتنا الى السيّد المسيح، و» أنَّ كلمة الله كما وصلت الينا في أسفار العهد القديم، لم يُعبّر عنها الإنسان بصورة كاملة، بل تطورت مع تطوّر الإنسان، ولن تصبح كاملة إلّا في شخص الإبن ـ المسيح ـ، ولذا يقول المسيح: أنا والربّ واحد، وفي غير هذا يبقى كلام الله ناقص»(١١).

ونفهم من ذيلِ كلام الخوري بولس، أنَّ كلام الله ناقصٌ، فلابُدَّ من إنتظار السيّد المسيح لكي يَسدّ هذا النقص، وكما تعلم أن هذا الكلام يصعب تصديقهُ، فهل يُعقل أنَّ العبدَ يصححُ كلام الخالق المعبود، ويُكمل النقصَ في التشريع، فيكون المخلوق أحكم وأعلم من الخالق.

ثانياً: يُجيب الخوري بولس عن الإشكال الثاني، بكونهِ كتابا فيه كذب وقسوة وإختيال؟. :» قد إعترض المسيحيون على المستوى الأخلاقي في أسفار العهد القديم، كما في قصّة (لوط) مع إبنتيه، في سِفر التكوين. وقصّة (تامارا)مع يهوذا، في سِفر التكوين أيضا. و(نساء سُليمان) العديدات في سفر الملوك

ثالثاً: ولا ينسون إحتيال إبراهيم على فرعون، حينما خاف على نفسه وعلى ساره الجميلة، فأمرها أن تقول أنَّها أخته وليس زوجته، فأخذها فرعون ونجا إبراهيم(عليه السلام). وإحتيال إبراهيم على ملك(جرار) وإسمه أبيملك، حينما قال بأنَّ ساره أخته، وليس زوجته، فأخذها أبيملك. وقصّة خاله(لابان)، في سِفر التكوين، وإحتيال بني يعقوب(عليه السلام)،على أهل مشكين، وقسوتهم على أخيهم يوسف، حينما باعوه عبدا للتجار الإسماعيليين»(١٢).

كُلُّ ذلك يعترف بهِ الكاتب الخوري بولس الفغالي في كتابه(المدخل الى الكتاب المقدس)، ويعترف بهِ المسيحيون كذلك حسب قوله المُتقدّم، وإن حاول الدفاع بطبيعة الحال.

ويعترف أيضا بأنَّ: « البشر خطاؤون، وأنّ سِفر التكوين لم يرضى عن تصرّف إبراهيم، عندما باع زوجته لفرعون، وأنَّ الكتاب المُقدّس يُرد حطايا رجال إختارهُم الله لرسالة خاصّة»(١٣).

أي أنّهُم مُجرّد ينقلون الرسالة وليسوا بمعصومين عن الخطأ، وهُم يُحاسبون على ذلك. وهذا ما وقع فيه البعض من الفِرق الإسلاميّة أيضا، إذ قالوا أنَّ الأنبياءَ معصومون في خصوص النقل، أمّا في غيره من السلوكيات والأفعال والأقوال، فقد يذنبون ويرتكبون الفواحش والآثام، كغيرِهم مِن البشر، لِعدم العصمة في غير النقل للرسالة، وعدم التسديد الإلهي إلّا في خصوصِ نقل تعاليم السماء فحسب، وهو قولٌ عليه إشكاليات كثيرة نقليّة وعقليّة، ولا تنسجم مع العدل الإلهي في إختيارِ أصفيائه، وجعلهُم مُثلا عُليا يُقتدي بِهم سلوكا وأخلاقا وعلما وذوقا وتشريعا، وإلّا لما كان لهُم مائزا عن غيرهم ولا فضلا. مضافا الى أنّ القرآنَ صريحٌ في تطهير أهل بيت النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من الرجسِ، ولم يكونوا أنبياء يوحى اليهم بالآيات، فكيف بالأنبياء الّذين أُكِلَ اليهِم حمل تعاليم الوحي، أن يرتكبوا المعاصي والكبائر والآثام، وهُم يحملون تعاليم السماء.

ويقول الخوري بولس في المصدر نفسه:» سنة سبعين ميلادي إجتاح الرومان مدينة أورشليم، عاصمة الشعب المؤمن، ودمّروا الهيكل، الّذي كان اليهود يعتبرونه بيت الله ومحلّ سُكناه، ولم يَعد شيء يربط بالله

إلّا التوراة، وهي أيضا مُهددةٌ بعد إنفصال السامريين بجبل جرزيم قرب نابلس، عن اليهود في أورشليم، بعد أن إختلف الصُدّوقيون والفريسيون على تحديد الشريعة الشفهيّة أو مُدوّنة، وظهور المسيحية وانتشارها».

ويُفهم من كلامهِ وجود عِدّة عوامل أثّرت في مسار نقل التوراة والعهد القديم بصورةٍ أمينةٍ.

ثُمَّ يقول الخوري:» إنَّ الصدوقين يرفضون القول بقيامة الأموات، وإنَّما الجزاء في الدنيا، وكان لهُم دور في قتل يسوع، وحياتهم مُرتبطة بالهيكل، فلمّا زال الهيكل لم يبق أثر في حياة اليهودية...وأن الأسفار عند اليهود ستة وأربعون، وقد كتبها كتّاب كثيرون، على مدى ثمانية قرون،...وأنَّها دوّنت بصورة نهائية في العهد الفارسي، حيث تبلورت شريعة موسى في تيارين شمالي تمثّل في الوصا العشر، ذات الطابع الأخلاقي وبقانون العهد، وتيار جنوبي متمثّل بوصايا العبادة وشعائرها، ثمَّ التقى التياران فأعطيا قانون الإشتراعي وقانون القداسة والتوراة والقانون الكهنوتي، ولمّا عاد الكهنة الصدوقيون من المنفى، حملوا معهم نصوصا مكتوبة وتقاليدا شفهيّة، وجعلوا كلَّ ذلك في إطار الأسفار الخمس، بعد أن كيفوه بحسب الظروف الحاضرة، وجعلوا فيه قانون الذبائح وقانون الطهارة، وهكذا برزت التوراة بصورتها النهائية في القرن الرابع قبل الميلاد... وأنَّ لِإجتياح الإسكندر منطقة الشرق تأثير سَلبي على قسمٍ من اليهود، لأنَّهُم يرون اليونان وثنيّة، وتأثير إيجابي بالإستفادة من الثقافة واللغة، وكان من ثمارهِ سِفر الحكمة، وفي هذا العهد دوّنت بصورة نهائيّة أسفار الأيام الأولى والثانية ونحميا وعزرا، كردِّ فعلٍ على السامريين المنشقين، الّذين بنوا هيكلهم على جبل جرزيم، وإنفصلوا عن اليهود، هذه الأسفار الأربعةَ كُتبت في نهاية القَرن الرابع قبل الميلاد، ولا نعرف كيف كُتب سِفر أستير...أمّا كتابا سِفر الحكمة والجامعة، فيدلان على معرفة بالفكر اليوناني ومسائله، وسِفر طوبيا يرتبط بالعالم الشرقي . في نظرته الى الملائكة . وكذلك سِفر باروك الّذي ترجع أقدم مواده الى القرن الثالث قبل الميلاد. أمّا يشوع بن سيراخ، فقد دوّنَ في القرن الثاني، فضمه عناصر أخذها من سِفر موسى وتعاليم الأنبياء وكتب الحكمة،... ونتيجة الصراع بين الفكر اليهودي والفكر الهليني، وصل الينا سِفر دانيال وسِفر يهوديت وسِفر المكابيين،...وكذلك سِفر الحكمة لسليمان في القرن الأول قبل الميلاد، الّذي سيُعبّر عن إيمان بني إسرائيل، بتعابير يونانية، فيطرح أمامنا مسألة الخلود بعد الموت، ويحل مسألة الثواب والعقاب الفردي، الذي عالجتها أسفار الحكمة منذ القرن الخامس قبل الميلاد، دون أن نجد لها ثواب تلك هي مرحلة تكوين التوراة، تتبعناها فإكتشفنا فيها تطور فكري ديني، بدء من موسى وتعمّق مع الأنبياء، وتكيف مع معلمي الحكمة، فكان لنا هذا البناء الضخم»(١٤).

وكما ترى حجم الخلافات التي أوصلت الى محاولة قتل عيسى، وفيه إشارات كثيرة تدلّ على أنَّ التوراة وأسفار العهد القديم، لم تكن واضحة المعالم، من حيث الثابت والمتغيّر، ممّا تسبب في نزاعات وصراعات في تعيين كتاب العهد القديم، وتظهر صعوبة تجميع وتدوين أسفار العهد القديم، بصورة قطعيّة وعلميّة، غاية الأمر تُدوّن الأسفار نتيجة الصراعات والعصبيات، وأنَّ التدوين لم يكن فترةٍ واحدةٍ، وإنّما على شكل فترات منقطعة ومُتفاوتةٍ، ليس بينها سند أو إتصال أو ضابطة علميّة توجب القطع واليقين بصحّة التدوين، فهي مسيرة تاريخية مليئة بالأحداث، وتجميع الأسفار من الشرق والغرب بطريقة مجهولة، كما في سِفر أستير، والبعض دوّن كردةِ فعلٍ على السامريين المنشقين، والأخذ من اليونان سِفري الحكمة والجامعة، وجميع ذلك لا ينفع في إثبات صدق التدوين وسلامته من الدخيل ومن التلاعب البشري، بحيث يُحافظ على سلامة الوحي والسياق الرباني.

ويقول الخوري بولس أيضا» أنَّ المسيحيين يعتبرون العهد القديم دون الوحي الكامل، ودون الإيمان، الذي يفترضه هذا الوحي، ودون الحياة الجديدة... أمّا الأسفار المنحولة، التي تنتحل شخصيّة الكتب الموحاة، أو تُضيف الى كتابٍ وكلام الله ما قالهُ الناس....تشكّل عمارة ضخمة جدّاً....وهو يرفضون رفضا قاطعا أن يحسبوا أسفار العهد القديم، كتبا تحتوي على كلام الله تعالى، بل يقولون أنّها أقل شأنا من كلام الفلاسفة

القدماء، ويقولون أنّها صعبة وقديمة، وهي مجرّد قصّة متعلقة بشعب مغلق، وفيه الكذب والإحتيال والقسوة، فهي تكاد تكون كلاما بشريا....أمّا اليهودية فتعتبر العهد الجديد وكأنّه لم يكن، فكيف ستقرأ أسفارها المقدسة، بعد هدم الهيكل وألغيت الذبائح، ولم يعد لها إلّا الشريعة كوسيط بين المؤمنين والرب.... ولذلك لا تزال اليهودية تعتبر نفسها شعب الله المختار، وترفض ما قالهُ القدّيس بولس، بإنَّ شعب إسرائيل هو عبد للشريعة، وأن أسفار العهد القديم إنتقل اليها، لأنّها هي التي صارت شعب الله المختار...وبقياد يوحنا بن زكاي عقد اليهود إجتماعا، أنتج الإنفصال عن المسيح، ومنعهم عن الصلاة اليهودية، وتاليف صلاة ضد المرتدين المسيحيين، وكان هولاء اليهود من الفريسيين، ففي دعاء الثاني عشر المسمى(بركات هامنيم) يقولون: فليحط الإله اليأس على قلوب المرتدين، وليهلك كل المسيحيين التو. كما وإن الأسفار التسعة والثلاثيين، قد ثبتت عند اليهود في اللغة العبرية، أمّا المكتوبة في اليونانية، فتركوها لانَّ المسيحيين قد تناولوها. كما في الترجمة السبعينية، بل وزاد المسيحيون سبعة أسفار لتصبح ستة وأربعين. كما وأنَّ التقليد الشرقي أختلف عن التقليد الغربي لليهودية، فإن الأسقف ((مليتون السرديسي ١٦٠م)) قد أرسل لائحة بمجموعة أسفار التوراة الى أسقفٍ آخر إسمه ((اونسيمون))، وأغفل عن ذكر سِفر أستير وأسفار القانونية الثانية، وهي الأسفار السبعة التي أضافها اليهود المسيحيون، أمّا((أوريجانس)) ، في القرن الثالث، تردد بين ما تقوله الغربية والشرقية، وكذلك تردد((كيربس)) الأوسليمي، و((أثناسيوس)) الإسكندراني، و((يتودورس)) المصيصي. وعقد مؤتمر في اللاذقية ٣٣٦م. كما ان اليهود، لا يقرون بان العهد القديم قد تنبأ عن المسيح، وهيّأ الدرب للمسيح، والسبب يعود لجهلِهم الحقيقي بالتنبؤات المسيحانية، والى عدم إيمانهم بالمسيح وأعماله»(١٥).

وهكذا لم يوجد إتفاق بينهُم على عدد الأسفار، ولا على مصدرها، ولا تدوينها، بل إختلفوا على مجملِ الأسفار ومصدرها، ولم يتفقوا اليهود والمسيح على شيء، وكانوا خُصماء عَقَديّا وتاريخيّا، لكن يبدو أنّهُم إقتربوا من بعظهم البعض شكليّا وسياسيا، للوقوف بوجه الإسلام الّذي أفسد عقائدهم علميا وعقليا ونقليا.

المطلب الثاني: تعليقات علماء اليهود على أسفار العهد القديم

يقول الدكتور عوده مهاوش: مَن راجع ودقق في كتبِ اليهود والنصارى، يجد أنَّ كل واحد من أناجيل العهد القديم والجديد، قد كُتِبَ من قِبلِ واحدٍ من المؤرخين، والعجيب أن أرباب الأناجيل أنفسهُم قد ذكروا قائمة بأسماءِ المؤلفين لهذه الأناجيل، والأعجب من ذلك أنهُم إعترافوا بعدم معرفة أسماء الكثير ممّن ألّفها، ومع ذلك يقولون ان الكلام المقدس كلام الله. فقد ذكر((Collins,r.s,v ,٤١في الصفحات١٢. ١٧ ما يلي:

التكوين: المؤلف: واحد من كتب موسى الخمسة.

الخروج: يُنسب بشكل عام الى موسى.

اللاويين: ينسب بشكل عام الى موسى.

العدد: ينسب بشكل عام الى موسى.

التثنية: ينسب بشكل عام الى موسى.

يشوع: معضمه ينسب الى يشوع.

القضاء: المؤلف: يُحتمل ان يكون صموئيل.

راعوت: المؤلف:ليس معروفا حقّا، إلّا أنّهُ يمكن ان يكون صموئيل.

صموئيل الاول: المؤلف غير معروف.

صموئيل الثاني: المؤلف غير معروف.

الملوك الأوّل: المؤلف غير معروف.

الملوك الثاني: المؤلف غير معروف.
أخبار الايام الأوّل: المؤلف غير معروف، ويمكن ان يكون جُمِعَ وحُرِرَ من قبل عزرا.
أخبار الايام الثاني: المؤلف الأرجح أنّهُ جُمِعَ وحُررا من قبل عزرا.
عزرا: يُحتمل ان يكون كُتِبَ أو حُررا من قبل عزرا.
أستير: المؤلف غير معروف.
أيوب: المؤلف غير معروف.
المزامير: مبدئيا داود، إلّا انهُ يوجد مؤلفون آخرون.
الأمثال: المؤلف: مشكوك في أنّهُ من هو، ولكن على عموما يُنسب الى سليمان.
أشعيا: أغلبهُ منسوب الى أشعيا، وأقسام منه ربما كتبت من قبل آخرون.
يونان: المؤلف: غير معروف.
حبقوق: المؤلف: لا شيء نعروف عن مكان أو تاريخ تولّده. الى غير ذلك ممن كتبه محققو النصرانية أنفسهم(١٦). وهكذا الأمر في باقي الأسفار، ومع ذلك يُسمونهُ كتاب العهد، مع كُل هذه المجهوليّة ، فلا يوجد قطع ولا إطمئنان في أصلِ ثبوت الاسفار، فضلا عن صحّتها.

إعتراف علماء التوراة على تحريف الأسفار:

ينقل محمد صادق الطهراني في كتابهِ (البشارات والمقارنات)، تعليقات علماء اليهود على أسفار العهد القديم، منها: قول المفسر الشهير (هارسلي): « لا شك في تحريف الكتاب المقدس في متنه وأصله، يدل على ذلك إختلاف النسخ حيث الاختلاف آية الإختلاق، فقد أدخل كلمات وقحة في المتون المطبوعة، مما لا يناسب ساحة الوحي...وان الاصل العبراني قد حرف بعد بخت نصر، بل وقبله إقبح تحريف وأشنعه»(١٧).

ومنها: قول الدكتور (كنيكات):» ان العهد العتيق الحالي الف قبل الف أو يزيد على الاربعمائة، وجميع النسخ المؤلفة في القرنين السابع والثامن خرجت عن الاعتبار بامر من الشورى اليهودي، لأنّها كانت تختلف كثيرا عمّا كانوا عليه يعتمدون... ويقول الراهب(فيليبس كوادكولس)أنَّ الربّي(يونتلن عزيال)، والربّي(يوسف أعمى) يَرون أنَّ كتب . يوشع والقضات والملوك وأشعياء وزبور وراعوث وأستير وسليمان . محرفة، ونحن معاشر الإنجيليين إحتفضنا على هذه الكتب لكي نلزم اليهود بتحريفهم لها...وقد حرفوها على عمد»(١٨).

ومنها: قول (نورتن): «إثبت بأدلّة كثيرة أنَّ التوراة الموجودة ليست من موسى الرسول، بل هي مختلقة مجهولة»(١٩).

ومنها قول(كريزاستم)أنّهُ: « قد إنمحق الكثير من كتب الأنبياء، حيث حرفتها اليهود على غفلة وعلى عمد، فمزقوا البعض منها وحرّفوا ما تبقى»(٢٠).

ومنها قول(أكستائن): « إن العلماء الأقدمين يعتقدون ان اليهود حرفوا التوراة لكي يقضي على الترجمة اليونانية، وضدا للمسيحية وكان ذاك في ١٣٠م»(٢١).

ومنها قول(آدم كلارك)قوله:» ان اليهود كانوا يريدون في عهد يوسيفس أن يزينوا ويزخرفوا الكتب المقدسة بزيادات من عندهم في كتاب أستير، ومن ذلك حكاية الخمر والنساء»(٢٢).

ومنها قول(مستر يروتن) قوله: « أنَّ الترجمة الإنجليزية الرائجة مليئة من الأغلاط، وكان يقول للقسيسين أنَّ هذه الترجمة محرفة في٨٤٥ موضعا، ومن جرّاء ذلك إرتدّ جمع كثير عن العهد الجديد وضلوا السبيل»(٢٣).

وقد قامت مجموعة من الأساقفة الكاثوليك، بترجمة الكتاب المقدس الى اللغة العربية، بمساعدة الأديب

إبراهيم اليازجي،وتمت عام١٨٧٩م، وعدد نسخها(٢٣٢٤٥)نسخة، وإنتشرت في البلدان، وقد كان هناك تعليقات خاصة وعامة لعلماء التورات على الأسفار، على شكلِ سؤالٍ وجواب، منها:

أولاً: السادة الأساقفة أعظاء الجنة الكاثوليكية لترجمة الكتاب المقدس، تُنسب الأسفار الخمس الى موسى (عليه السلام)، فهل تعتقدون بذلك؟

الجواب: ما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى بذاته كتب التوراة (البنتاتوكس)، بل يجب القول أنّهُ يوجد إزدياد تدريجي في الشرائع الموسوية، سببته مناسبات العصر الإجتماعية والدينية.

ثانياً: هل توجد تناقضات في الكتاب المقدس؟

الجواب: نعم، يوجد تناقضات في الفصل السابع عشر من سِفر الخروج، ينسب الناقدون مادة الى التقليد اليهودي، التي تقول(يهوه)أرجع الى الوراء مياه البحر، بواسطة ريح شرقية. بينما في التقليد(الكهنوتي)أن موسى شقَّ المياه بإشارة من يده.

ثالثاً: هل إنتقلت الينا التوراة مكتوبة أم ماذا؟.

الجواب: قد تحقق الناقد أنَّ التراث الموسوي قد إنتقل جزءٌ منه شفهيا وجزءٌ كتابة بواسطة التقليد.

رابعاً: هل أقسام التوراة كُلّها تعود الى فترة زمنية واحدة، أم تتفاوت.

الجواب: هل وصلت التوراة الينا كاملة، بالشكل الّذي كانت عليه منذ أوّل الأمر؟.

الجواب: سِفر التثنية كان مجهولا حتى أيام الإصلاح الديني، الّذي قام به(يوشيا)الملك التقي، فإكتشف النصَّ في مخبأ في أورشليم. الملوك الاول. (٢٢: ٢٣)، وإتُّخِذَ كمنهاج بعد عهد الإنحطاط(٢٤).

وغير ذلك الكثير من إعتراف علماء اليهود، بعدم صحّة أو دقّة نسبة الأسفار الى أصحابِها، وبالتالي لا تصلُح للتعبّد الديني، الّذي يستعي الإعتقاد والإمتثال للمكلفين، وتطبيق الشريعة السماوية ونيل الآجر والثواب الأُخروي.

نتائجُ البحث:

أولاً: هُناك ضبابيّةٌ وإجمالٌ واضحٌ وعتمةٌ، في مُجملِ تراثِ اليهود الديني، وبالخصوصِ أسفار العهد القديم وطريقة تدوينها.

ثانياً: هناك ترددٌ وإجمالٌ واضحٌ في عدد اسفار اليهود، وأسمائها، وصحّة نسبتها الى أصحابِها، وأنَّ الغموضَ يكتنفُها من جميع النواحي.

ثالثاً: هناك ترددٌ وضبابيّةٌ في مصادر التشريع اليهودي، وتعددها، ممّا يولّد الشكَّ أصلِ التشريع، وحقيقة المُشرّع ومفهومه.

رابعاً: هناك ضبابيّة في ماهيّة وتعيين الإله المُشرّع، فهل هو(يهوه)، أم(إلوهيم)، أم غيره، وهذا الإختلاف قرينة على الإختلاق والعبثيّة، وعدم معرفة الإله الخالق والمشرّع.

خامساً: إعتراف الكثير من علماء اليهود، بتحريفِ التوراة والأسفار، وبالخصوصِ علماء الطائفة الكاثوليكيّة الّذين لا يؤمنون بكثير من الأسفار الحاليّة.

سادساً: شهادة علماء اليهود في كثيرٍ من المناسبات، بعدم صحّة التوراة الحاليّة، ونسبتها مجهولة، وأنَّ التحريف من اليهود كان عن علمٍ وقصد، لكي ينسجم التحريف مع معتقداتِهم التي إكتسبوها عن الحضارات المجاورة، ومنها الوثنيّة والمجوسيّة.

سابعاً: الكثير من نصوص الأسفار والتوراة، كاشفةٌ عن إستحالة نسبتها الى موسى (عليه السّلام)، من قَبيل كتابة موسى قصّة حياته ومماته ومكان دفنِه.

ثامناً: عدم لياقة الألفاظ في الكثير من نصوصِ أسفار الكتاب المقدس ، لِذوقِ الشريعة ومفهوم الإله الخالق القوي، فقد نسبوا للإله صفات وسلوكيات لا تليق بِأقلِّ المخلوقين، وجعلوه أضعف المخلوقين، بل

يصارعهُ المخلوق فينتصر عليه، كما في قصّة يعقوب وصراعه مع الإله الخالق.

تاسعاً: عدم ثبات مفاهيم التوراة وأسفار العهد القديم، لموازين العقلِ والشرعِ، ولا يصمد أمام الثوابت المنطقيّة والعقليّة المُحكمة.

عاشراً: أسفار العهد القديم عبارة عن قصص ورؤى وإسقاطات أشخاص معينين، يسندون مُعتقداتهَم العرفيّة بروايات على أنّها سماويّة إلهيّة، وهذا يكاد يكون واضحا في مُجمل النصوص التوراتية والتلموديّة.

الهوامش:

١ . الكنز المرصود، روهلنج، ترجمة من الفرسيّة يوسف نصرالله،مطبعة المعارف مصر، ط١، ١٨٩٩م،ص٣١.
٢. ينظر: نظرة في التوراة، عواد الماجدي، منشورات دار جامعة الصدر الدينية، النجف الاشرف،ط١، ص١٢.
٣. ينظر: الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٧٠م، ص٢٦.
٤. العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسه، ص٥٣٨.
٥. محاظرات في اليهوديّة، الدكتور وليد فرج الله، نسخة مصورة، ص١١٧.
٦. المدخل الى الكتاب المقدس،الخوري بولس الفغالي،المكتبة البولسية بيروت،١٩٩٤م،ج٢، ص١٨٧.
٧. قصة الحضارة، ول ديورانت،ترجمة زكي نجيب، دارالجيل بيروت، ط١٤١٩،١هـ ـ ١٩٩٨م،ج٢، ٢٧١.
٨. دراسات مقارنة، سامي البدري، دار الفقه،ط٢، ١٤٢٥هـ ق، ص٣٠.
٩. إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الهندي،طبعة الرئاسة العامة للدراسات في الرياض،،ط١٤١٠،١هـ،ص٣٢٨.
١٠. المصدر نفسه، ص٦٦.
١١. مدخل الى الكتاب المقدس، الخوري بولس الفغالي، ج١، ص١٥٣، م.س.
١٢. المصدر نفسه، ص١٥٤.
١٣. المصدر نفسه، ص١٥٤.
١٤. المدخل الى الكتاب المقدس، الخوري بولس الفغالي،ج١،ص١٥٣،م.س.
١٥. مدخل الى الكتاب المقدس، الخوري بولس الفغالي، ص١٨٥. ٢٠٧، م.س .
١٦. نقلا عن: الكتاب المقدس تحت المجهر، عوده مهاوش، مطبعة صدر،قم، ط٣، ١٤٢٥ .٢٠٠٤، ص٣٨.
١٧. البشارات والمقارنات، محمد صادق الطهراني،مطبعة الغري الحديثة، النجف، ط١، ١٣٨٨هـ، ص١٠٣.
١٨. المصدر نفسه، ص١٠٣.
١٩. أنيس الأعلام، ج١، ص٢٧٤، نقلا عن البشارات والمقارنات، محمد صادق الطهراني، ص١٠٥، م.س.
٢٠. المصدر نفسه، ص١٠٥.
٢١. المصدر نفسه، ص١٠٦.
٢٢. المصدر نفسه، ص١٠٧.
٢٣. المصدر نفسه، ص١٠٧.
٢٤. المصدر نفسه، ص٢٧٤.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم
١. الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد)، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط،مصر٢٠٠٢.
٢. الفكر الديني، حسن ظاظا، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٧٠م، ص٢٦.
٣. مفصل العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسه، تقرير طه باقر،دار الورّاق،بغداد،ط٢٠١٤،٢ ص٥٣٨.
٤ . نظرة في التوراة، عواد الماجدي،منشورات دار جامعة الصدر الدينية،النجف،ط١، ٢٠٠٧م،ص١٢.
٥ . محاضرات في اليهودية، دكتور وليد فرج الله الأسدي،نسخة مصورة، ب.ت،ب.ط،ص١١٧.
٦ . المدخل الى الكتاب المقدس، الخوري بولس الفغالي،المكتبة البولسية بيروت،ط١٩٩٤،١م،ص١٨٧.
٧ . قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، ترجمة زكي نجيب، دارالجيل بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.١٩٩٨م، ص٢٧١ .
٨ . دراسات مقارنة، سامي البدري، دار الفقه، ط٢، ١٤٢٥هـ ق، ص٣٠.
٩ . إظهار الحق، رحمة الله الهندي،طبعة الرئاسة العامة للدراسات والبحوث، السعودية،ط١، ١٤١٠هـ . ١٩٨٩م، ص٣٢٨.
١٠. الكتاب المقدس تحت المجهر، عوده مهاوش، مطبعة صدر، قم، ط٣، ١٤٢٥هـ. ٢٠٠٤م، ص٣٨.
١١. البشارات والمقارنات، محمد صادق الطهراني،مطبعة الغري الحديثة، النجف، ط١، ١٣٨٨هـ، ص١٠٣.